

إن في ذلك لذكرى ولكن هل من مُدَّكر؟

سَمَاحَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
أَلَمْحَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَلِيلِ
الْمُفْتِي الْعَامِلِ لِسُلْطَانَةِ عُومَانِ



الْجُمْهُورِيَّةُ الْعُومَانِيَّةُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المحمود على السراء والضراء، كاشف كل غمة، ومنفس كل كرب، ومبدد كل مدلهمة، والصلاة والسلام على من أرسله رحمة للعالمين، وسراجاً للمهتدين، وإماماً للمتقين، ونعمة على خلقه أجمعين، وعلى آله وصحبه هداة الخلق إلى الحق، وعلى من تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد،

فأوجه تحيتي الخاصة وتهنئتي الصادقة إلى جميع المسلمين والمسلمات، الذين وفقهم الله لصيام هذا الشهر الكريم وقيامه، مع ما نكبوا به من فقدان متعته وبهيجته بالحرمان من التردد إلى بيوته، وإقامة الصلاة في أكنافها، وحسن عمارتها بالذكر، سائلاً الله تعالى أن يتقبل منا ومنهم الصيام والقيام، وأن يكشف عنا وعنهم الضراء، ويدفع عنا وعنهم كل بلاء، ويعافينا ويعافيهم من جميع الأسقام والأوباء، وأن يلبس الأرض جميعاً ثوب عافيته، ويجللها بحلل نعمته، وأن يمن مع العسر باليسر القريب، والفوز الكبير، وأن يعيد مناسبة هذا الشهر الكريم، وطلعة عيده السعيد البهيج، عاماً بعد



عام، مع تمام النعمة، وشمول العافية، وكمال المسرات والأفراح، إنه على كل شيء قدير.

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر
عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى له فرجاً ممّا ألح به الدهر
إذا اشتد عسر فارج يسراً فإنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

وتلك هي سنة الله في خلقه، فكلما عسعس الليل البهيم، وأطبقت ظلمته، واشتدت وحشته، كان ذلك إيذاناً بانبلاج صبح قريب، يبدد ضوؤه كل ظلمة، ويذهب أنسه بكل وحشة، وتأتي راحته على كل مشقة، و(عند الصباح يحمد القوم السرى)، وحسب المؤمن ما يستفيده من هذه الشدائد من دروس، ويجنيه من هذه المحن من منح، فإن المؤمن لا تؤيسه الشدة، ولا تبطره النعمة، ولا يلهيه أمر عن الاتصال بربه، والاعتصام بحبله، فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(١).

(١) أخرجه أحمد؛ مسند أحمد، (رقم: ١٨٩٥٩، ٣٣٣/٤)، ومسلم؛ صحيح مسلم، كتاب (٥٣) الزهد، باب (١٣) المؤمن أمره كله خير، (رقم: ٢٩٩٩ [٧٥٠٠]، ص ١١٩٦)، وابن حبان؛ صحيح ابن حبان، كتاب (٩) الجنائز، باب (١) ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض، (رقم: ٢٨٩٦، ١٥٥/٧).



ومع كون الأحداث تتدافع المؤمن بين أكناف الشكر ورحاب الصبر في حاله، فإنه بجانب ذلك يستلهم من كل ما يمر به في هذه الحياة، وما يشاهده من صروفها وأحوالها، دروسًا تزيد إيمانًا بربه، وصلة بدينه، وثقة بوعده، كما تزيده يقينًا بضعف نفسه، وضعف الخلق أجمعين، بين يدي قدرة الله تعالى، الذي يقول للشيء كن فيكون، فيخرج من النار الحامية بردًا وسلامًا، كما يخرج من الماء المنساب حثًا زؤامًا.

يقضي بما شاء والأسباب جامدة ويحكم الأمر والأفكار عميان

وإن من تدبر فيما عم العالم من هذا الوباء المنتشر تستوقفه كل نقطة في سجله العظيم، لتفيض عليه من الدروس، وتملي عليه من العبر ما يفوق كل تصور، فقد غشي هذا البلاء الأرض بعد ما أخذت زخرفها، وازينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها، فقد كان ذلك بعد أن تحقق فيها من الإنجازات الهائلة ما لم يكن يخطر على بال، وفتحت للناس أصناف العلوم التي لم يكن في حساب أحد أنها ستفتح أبوابها، وستبرز من خفائها، وتيسر لهم من الابتكارات العظيمة ما لم يكن يتراءى لأحد حتى في طيف الأحلام، وتصور الإنسان أنه أمسك بزمام الحياة كلها، وأعطى مقاليد كل شيء، وزويت له الأرض من أطرافها، فصارت بين يديه يتصرف فيها كما يهوى، واختصرت له مسافات الكون حتى



غدا يحصي ما اشتملت عليه أبعاده، ويعد ما يُقدَّر نأْيُه عنه بعشرات أو مئات مليارات السنين الضوئية، فيكتشف ما في تضاعيف كائناته ما نأى عنه كالذي دنا منه، وإذا بالقدر الإلهي - في أوج هذا الغرور البشري وهذا الازدهار الذي تحقق في العالم على يدي الإنسان - يقرع مسامعه ليوظ عقله الطائش المغرور بأنه لا يزال في طور العبودية الضعيفة، وأن أقل جندي من جنود الله - الذي له جنود السماوات والأرض - يقهقره حتى يقفه موقف الذل والحسرة، لا يملك من أمره شيئاً، كأنه لم يكن ذلك المغرور الذي يرى أن الكون لا يتسع له، وأنه تمكن من تحدي الأقدار ورد صروف القضاء.

فقد أراه الله تعالى آيته الكبرى في كائن بلغ من الدقة والضعف حيث لا تتسلط عليه عين، ولا تتمكن منه حاسة، ولا تعرف له هوية، ولا تشخص له عين، فإذا به يدحر هذه الجموع الهائلة من أولي القوى الحسية والمعنوية، الذين بهروا العالم باكتشافاتهم وابتكاراتهم، وحذفوا من قواميسهم كلمة (مستحيل)، فتصوروا كل شيء ممكناً لهم، لا يؤدُّهم أن يأتوا به مسخرًا وإن كان وراء المجرات جميعاً، فتلاشت عندهم جميع الحيل، وتقطعت بهم جميع السبل، ولم يجدوا إلا أن يطأطئوا الهامات - التي لم تتطأطأ من قبل - أمام هذا العدو الخفي عن جميع الحواس، فانقلبت جميع التصورات، وتضعضت جميع



المحاولات، وتبددت جميع القوى، ليثبت لكل أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن الأمر كله لله، بيده النفع والضرر، والمحيات والممات، يعز من يشاء ويذل من يشاء، لا يؤده جبار أن يقصمه، ولا عزيز أن يذله، ولا غني أن يفقره، ولا رفيع أن يضعه، يقول للشيء كن فيكون، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، يطوي الوجود كما نشره، ثم ينشره بعد طيه، ليلقى كل جزاء ما قدم، وليبوء بعاقبة ما ارتكب، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فليس لغيره - وإن تعاضم وتسامى - شروى نقير من الأمر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وهو تعالى اللطيف بعباده، يحفظهم بالليل والنهار، ويقىهم ما يحيط بهم من الأخطار، وما ينبعث من داخل أنفسهم، فلولا لطفه تعالى ورأفته بعباده لما بقي أحد سالمًا طرفة عين، فهذه الأخطار التي تنبعث للناس من أجسامهم وقفت حولهم جميعًا أن يدروا أقل شيء منها، فما بالكم بالأخطار التي تحيط بهم من كل جانب، فهذه الأرض التي هي قرار للناس ما هي إلا كرة معلقة في الفضاء، تدور بهم وبكل ما عليها بسرعة تفوق سرعة أسرع



الطائرات التي اخترعها البشر، وهي في هذا الدوران تمسك كل من عليها وما عليها بنظام الجاذبية، الذي يحفظهم أن يتطايروا في هذا الفضاء، ويهواوا في كل مكان سحيق، وإلا لما بقي شيء عليها، بل ولا شيء منها، فأنى للإنسان من حيلة ليدرأ عنه أي خطر من هذه الأخطار، وبجانب ذلك تظل الأرض جميعاً بغلاف هوائي يقيها ما يتساقط عليها من الشهب، ويتتابع عليها من الأهواء الساخنة المهلكة، ويتقاذف إليها من أنواع البلاء، فضلاً عن حفظ هذه الأرض ووقايتها أن تخرج عن خط سيرها، وأن تصطدم بأي كائن من الأجرام الفلكية، التي تفوقها قوة وحجماً، بما لا يحصى من الأضعاف، كما يمسك تعالى تلك الأجرام أن تخرج عن مداراتها، وأن يصطدم بعضها ببعض، أو تصطدم بالأرض، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَّكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

فهل تيقظ الإنسان - الذي فرح بما أوتي من العلم، واغتر بما حققه من الإنجاز - لهذا الأمر، فكان على ذكر منه وعلى يقين بأنه ليس في غنى عن لطف الله وحسن رعايته في أقل من طرفة عين؟ فلو تخلى الله تعالى عنه وعن هذا الوجود الذي ينتظم فيه في أقل من لحظة عين لهوى هذا الوجود كله إلى غير قرار.



وإذا كان الإنسان الذي ذهب به الغرور إلى أقصى مداه امتلكه الرعب، وزعزعه الاضطراب حتى بلغت القلوب الحناجر، بسبب هذا الكائن الذي دق عن الحواس، فكيف يكون شأنه عندما تتداعى هذه الأجرام الفلكية بانحلال نظام الكون، وتتناثر في هذا الفضاء السحيق من غير أن يردّها شيء، فيقع بعضها على بعض، وتذكّ بها الأرض دكًا دكًا، وتسحق بها جبالها حتى تغدو هباء منبثًا، أين يكون قلب الإنسان في ذلك الوقت؟ وكيف يكون شأنه عندما تبدل الأرض غير الأرض والسموات، ويبرز الكل للواحد القهار، وتحاسب كل نفس على ما كسبت، وتنبأ بما قدمت وأخرت، وتجزى بما فعلت وما تركت، وينقلب كل إنسان إلى معاده بين منعم في جنة تجري من تحتها الأنهار، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وآخر معذب في دركات النيران، حيث يفوق العذاب كل تصور، ويتجاوز الأمر كل ما يتخيل، ناهيك بمن يسحب في النيران ويقلب فيها، وهي أشد سعيًا وأعظم اتقادًا، ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]، فإذا كان شررها المتطاير منها كل شرارة كالقصر فما أدراك ما حالها، وكيف نكبة من يصلها، وتكون مأواه؟ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهِرُ بِهِمْ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩ - ٢٢]، وهم مع ذلك ﴿لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].



فما أجدر الإنسان أن يفكر في هذا الأمر مليًا ما دام في فسحة من أمره، تتردد أنفاسه في جسمه، قبل أن يفوت الأمر، وتطوى الأعمار، فإنه لم يخلق هملاً، ولن يترك سدى، ولن يُرحم في الآخرة إلا من رحم نفسه في الدنيا فنهاها عن الهوى، وزمها بزمam التقوى، حتى تخضع لأمر الله، وتعتصم بحبله.

هذا؛ وكم حاول أولئك - الذين كانوا يتصورون أنهم يمسكون بناصية كل شيء في هذا الكون، ويتجاوب لهم كل قريب وبعيد في أرجاء الوجود كما يشتهون - أن يصلوا إلى حل لهذه المعضلة التي نجمت، وعلاج لهذا الداء الذي استشرى، ولكنهم وقفوا حيارى أعوزتهم الحيل، وخانتهم التدابير، فعرفوا الله عندما اضطرتهم إلى معرفته صروف الأقدار، فلم يجدوا إلا أن يلتجئوا إليه، ويعترفوا بذلهم بين يديه، فتجد من كان يهدم المساجد ويقتل من يؤمها ليعبد الله وحده يضطر على رغم أنفه أن يلجأ بنفسه إلى المسجد، ليسأل الله العافية مما حل، ويترجى المسلمين أن يتضافروا على دعاء الله أن يصرف هذا البلاء ويكشف هذا الضر، ومنهم من أعلن أن كل أسباب الأرض فشلت وما بقي إلا التعلق بأسباب السماء، وترى من كان أكثرهم عتواً واستكباراً، وأبلغهم غروراً وإعجاباً بما أوتي يتوسل إلى المتدينين بأن يُصلُّوا من أجل كشف الضر، ويتبرك بتلاوة القرآن الكريم، كل ذلك جاء تحقيقاً وتصديقاً لقول الله



تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]، وقوله: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، إذ ما من جبار عنيد، وكفار جحود، إلا أيقن بأنه لا نجاة إلا من الله، ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجِنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ ﴿[الأنعام: ٦٣ - ٦٤]، فلا نجاة ترتجى إلا ما يأتي به القدر، ويسوقه فضل الله على عباده، ورأفته بهم، الذي أحاطت بهم قدرته، فلولا لطفه الغامر، وبره الشامل، لأحاط بالناس العذاب من كل جانب، ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقد كان حريًا بهم أن يقفوا طويلاً ليتدبروا تصاريف القدر، وأن تردهم هذه الأحداث إلى الله تعالى، ولكن جبلة الشر مركوزة في طباعهم، فلا يكادون يتذكرون حتى ينسوا، ولا يقبلون حتى يدبروا، متجاهلين كيف طوت الأقدار القرون من قبلهم، وأهلكت من الأمم من كان أشد منهم قوة، وأكثر غنى، وأطول عمراً، وأعظم متعة، وأوفر صحة، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ



مَدَرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
قَرْنًا آخَرِينَ ﴿[الأنعام: ٦]﴾.

فما أضل الإنسان، وأشد غروره، وأفحش فجوره، وما أبطره
عند النعمة، وأجزعه عند الملمة، وأنساه لربه ولنعمة عليه، وأجهله
بما يجب عليه من شكرها، ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، *
مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّيْلَ يَسِّرُهُ * ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ *
* كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ
شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَبْثْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَبْنَا وَقَضَبًّا * وَزَيَّنَّا وَنَخَلًا * وَحَدَّائِقَ
عُلْبًا * وَفَنَكِهَةً وَابًّا * مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِأَنعِمَكُمْ ﴿[عبس: ١٧ - ٣٢].﴾

وما أجهل هؤلاء الذين فرحوا بما عندهم من العلم، وأضل
عقولهم، فكم دعاهم هذا الحدث إلى الاعتبار فلم يعتبروا،
وساقهم إلى الادكار فلم يدكروا، ناهيك بما ثبت لكل ذي قلب،
واستيقنه كل لبيب، أنهم ليسوا على شيء يمكن أن يعول عليه في
المللمات، فكما عجزوا عن كشف هذا الضر كانوا أعجز عن حسن
التعامل معه، فقد ضاعت قيمة الإنسان في موازينهم - وهم الذين
دائمًا يتشدقون بالمناداة بحقوق الإنسان -، فكم زهقت من أنفس،
وبادت من جموع، يطاردهم الموت فيودي بجماعات إثر
جماعات، وقد أعوزهم العلاج، لأن الأنظمة التي يعتمدونها
لا تفي بمطالب البشر الضرورية، في مثل هذه الظروف القاسية،



والأحوال المستعرة، فمن لم يكن بيده تأمين صحي لا يبالى به أن يموت كما يموت الحيوان الوحشي، غير مكترث به ولا مسؤول عنه، فأخذ الناس يتساقطون في الطرق من غير أن يجدوا أي عناية طبية أو غير طبية، فأين هذه المبادئ التي ينادون بها، وأين تلك الديمقراطية التي يفاخرون بها، بل أين حقوق الإنسان والرحمة به؟ كل ذلك تلاشى في مهب الريح، والتهمة ضرام المآسي، وهذا يدل قطعاً على فشل النظام الرأسمالي، وعجزه عن حل أدنى مشكلة مما تنوء به المجتمعات، كما يدل على فشل الديمقراطية، وإثبات أنها لا تبلى لهاة ظمآن، فضلاً أن تروي غلته، وتطفئ سعاره.

وتجدهم عندما غصت صدورهم بالمحنة، وهالها الأمر، وبلغ صغارهم مداه، أخذوا يتقاذفون التهم بينهم، لا سيما أولئك الذين فتحت لهم أبواب كل شيء حتى خيل إليهم أن ناصية كل شيء بيدهم، ويريد كل منهم أن يستأثر بتدبير أمر الدنيا دون غيره، فكل فريق منهم يتهم الآخر بأنه وراء هذا الشر الذي أحرق بالناس، وهب الأمر كما قالوا، بأن منشأ محاولة طائفة منهم أن تتلاعب بالجينات نكاية بالآخرين، فإن السحر انقلب على الساحر، إذ ما من طائفة منهم إلا نكبت بسوء العاقبة، ورزئت بخسارة في الأموال والأنفس لم تكن في حساباتها، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠].



ما ساقه الله من الخير من وراء هذا البلاء:

إن لله تعالى في كل أمر حكمة، ومهما كانت من شدائد فيما تأتي به الأقدار فإن الله من ورائها ألطافا يدركها أهل الإيمان، فقد أصلح الله بما حصل كثيرًا مما أفسده الناس، ناهيك بما ترتب على الحد من الحركات الجوية، وتوقف كثير من المصانع، وقلة استهلاك الوقود، من تنظيف للبيئة مما كان يلوثها، وإصلاح لها، وتصفية للأجواء من أكدارها، حتى عاد إليها نقاؤها الطبيعي، وارتقت - حسبما قيل - ثقاب طبقة الأوزون التي أعىى الناس رتقها، وأتيحت الفرص للأسر بأن تجتمع في بيوتها، ويرعى الوالدان أولادهما، ويحس الأولاد بروابط الدم التي تشدهم إلى والديهم، وتلك أمور كلها كانت مفقودة إلا عند من رحم الله، فقد أتت الحضارة المعاصرة على كل شيء من الطبيعة البشرية والطبيعة البيئية، فنسفته نسفًا، ومسخته مسخًا، وقد شاء الله سبحانه أن يكون فيما اضطر الناس إلى البقاء في بيوتهم تعديل لأوضاعهم الاجتماعية والبيئية، لعلهم يحسبون لها حسابًا في المستقبل، فيحرصوا على إصلاحها، بإعطائها قسطًا من تفكيرهم واهتمامهم.

وبجانب ذلك كم ثبت لهؤلاء الذين كانوا يحاربون الإسلام حربًا زبونيًا لا هوادة فيها ما يتمتع به هذا الدين من أخلاق عالية،



وقيم رفيعة، ومثل لا تسامى تتمثل في سلوك أتباعه، فقد ثبت لهم كيف ضحى أطباء مسلمون في تلك المجتمعات بحياتهم من أجل إنقاذ الجموع، وضاعفوا من جهودهم لأجل راحة الناس، فإن كثيرًا منهم قضى نحبه وهو يقوم بواجبه المهني، وهذا ما سجلته أقلام وألسنة المنصفين في تلك المجتمعات، الذين عرفوا للمسلمين فضائلهم وفواضلهم، واعترفوا بسبقهم في ميادين الخير، وعنايتهم بخدمة الإنسانية من غير تمييز، وكان من بين أولئك المنصفين الذين سجلوا خالص شكرهم للمسلمين الأمير تشارلز ولي عهد المملكة المتحدة، فقد أشاد بجهودهم وحسن شمائلهم، وكرم خصالهم، فليت بقية الناس هنالك يذكرون، ويتصورون هذه الحقيقة، فلا يجعلوا من الإسلام عدوهم الأول الذي يستهدفونه بمؤامراتهم، وإنما عليهم أن يمعنوا نظرهم في خصائص هذا الدين، ومزايا أمته، وما تحتويه شريعته الغراء من خزائن الكنوز المعرفية التي تعود على الجنس البشري بالإصلاح والإسعاد، وتجنبه الفتن والمحن، وتضفي على حياته الأمن والسلام، والطمأنينة والاستقرار، وتحرره مما كبَلته به أنظمتة الجائرة التي تسوسه من قيود سلبته حريته البشرية وحقوقه الإنسانية وقيمه المثلى، حتى عاد الإنسان أرخص ثمنًا وأقل قدرًا من الآلة الصماء التي تستغل حتى تستهلك، ثم يرمى بها مع المتاع الفاسد.



وبجانب هذا كله فقد كان هذا الفيروس الخفي جنديًا من جنود الله المخلصين، هزم الأحزاب، وأدب الطغاة، وعرفهم بأقدارهم، فكم من أمة أبطرها تسلطها على رقاب الله فكانت تسعى لإبادة خضرائهم ومحو هويتهم - لا سيما المستضعفين من المسلمين الذين وقعوا في نير سلطات المستكبرين -، فكانوا يكيدون لهم المكائد، ويذيقونهم من العذاب أمره، ويرون أنه لا قرار لهم حتى يجردوهم من كل حق، ويسلبوهم كل نعمة، ويطمسوا هويتهم، ويستأصلوا شأفتهم، وقد ضاق الأمر بأولئك المستضعفين وجأروا إلى الله متطلعين إلى نصره الذي يخلصهم من هذا البلاء، فأمدهم الله بهذا الجندي الجريء، ففتك بكثير من أولئك الطغاة، وملاً قلوبهم رعبًا، وظنوا أنهم أحيط بهم، وأقر الله بذلك عيون المؤمنين، ليعلموا أن الله سبحانه لا يؤده نصر المستضعفين، وقهر الجبارين الباطشين، فله تعالى جنود السماوات والأرض.



الاقتراحات والتوصيات التي يجب أن تتبع:

بعد هذا التذكير بهذا الحدث العظيم الذي عم أرجاء الدنيا كلها، وأطبق أثره على الأرض جميعاً، فعزل أقطارها بعضها عن بعض، وحبس سكانها، فغدا كل في سر به مشغولاً بنفسه، مقطوعاً عن مجتمعه ومعارفه، وعطل المعطيات الحضارية التي ما كان يظن بها أن تتعطل يوماً إلى أن يرث الأرض وارثها، أعود إلى ما يجب أن يتبع في هذه المواقف الحرجة، وفي مقدمة ذلك رجوع الإنسان إلى ربه بعد ما طال تمرده عليه، ونفاره منه، وتطاوله على حقوقه، وتجاهله لعظمته وسلطانه وقدرته على كل شيء، وتناسيه لنعمه التي تحيط به وتغمر جميع الوجود وتغدودق كل موجود، وألطافه الواسعة التي اختص بها البشر، ورعايته لكل أحد في نومه وفي يقظته، وفي سره وفي علانيته، وفي مكرهه وفي منشطه، وفي يسره وفي عسره، وفي صحته وفي سقمه، وفي ذكره وفي غفله.

ولا تكون العودة إليه إلا بإخلاص العبودية والعبادة له، وإفراده تعالى بالإجلال والإكبار، والإخلاص له في السر وفي العلانية، والتزام طاعته في الشدة والرخاء، واستلهم منهج الحياة كلها منه وحده، فإن له الآخرة والأولى، وهو العليم بكل خفي وجلي، المحيط بكل ما دق أو جل، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

اللطيف الخبير﴾ [المك: ١٤].



فما كان للإنسان - ذلك المخلوق الضعيف - أن ينازع الله سلطانه، وأن يستكبر على عبادته، ويتكبر على عباده، ويطغى بما آتاه الله من نعمة، ويفسد في الأرض بما بسط الله له من فضله، وإنما عليه أن يسلم له سره وعلنه، وقلبه وقالبه، وروحه وجسمه، ويخلص له محياه ومماته، ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣]، فبهذا يسعد الإنسان فردًا وأُسرةً ومجتمعًا وأمةً وجنسًا، فإن الإيمان بالله واليوم الآخر وتقوى الله في الظاهر والباطن صمام الأمان لحياة الإنسان، ومصدر أمنه واطمئنانه، وأساس تمدنه ورفقيه.

ولما كانت هذه المفاهيم بعيدة عن تصور الناس الذين اجتاحتهم الحياة المادية، وأبعدتهم عن الله، وصدتهم عن دينه، وأغرقتهم في مستنقعات الشهوات، وأردتهم في مهاوي الضلالات، فإن على أمة الإسلام أن تقوم بهذا الدور الفعال، وتقود هذه الحركة البناءة، فتبصر الإنسان الأعمى الحائر، وتمسك بيده لتنتشله من الضياع، وتنقذه من الهلاك، وترتقي به من هذه الدركات الساقطة ليعود إلى مكانه الطبيعي، وليكون موصولاً بربه سبحانه وتعالى، خبيراً بورده وصدوره، متفطناً في إقدامه وإحجامه.



وهو أمر يتوقف على إصلاح الأمة لذاتها، وتقويم كل اعوجاج فيها، والقضاء على كل شقاق بينها، وإحلال المودة والوئام، والألفة والوفاق، والصدق والأمانة، والإخلاص والجد في تعاملها مكان الشنآن والتنافر، والتباعد والشقاق، والكذب والخيانة، والغش والهزل، لتكون أمة حية تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بأفعالها وأحوالها قبل أن تقوم بذلك بالسنتها وأقوالها، فإن من أراد استقامة غيره عليه أن يقوم نفسه أولاً.

وإنك إذما تأت ما أنت أمر به تلف من إياه تأمر آتيا وإلا كان على حد قول البوصيري:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قلتي لك استقم واستقامة الأمة تتوقف على عدة أمور:

أولها: إصلاح عقيدتها وفكرها، حتى تكون مستلهمة من كتاب الله تعالى، ومن الثابت الصحيح من سنة رسول الله ﷺ، وذلك موقوف على صونها من جميع الأخطار بالتصدي لجميع الضلالات الفكرية، كالإلحاد بجميع صورته، ووقف كل نشاط لما أفرزته الأمة من جراثيم فتاكة تتمثل في أولئك الذين يكيدون لها كيِّداً من الداخل، ويسعون إلى التشكيك في ثوابت دينها، وزعزعة فكرها، والانحراف بها عن سلوكها وأخلاقها، والانحطاط بها إلى الدركات السفلى من الرذائل والفحشاء،



بتحليل ما حرم الله عليها، وتبديل ما شرع لها، وتسفيه ما أنزل في كتابه وما دعا إليه رسوله الأمين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم، فإن القضاء على هذه الجرائم البشرية أهم من العناية بعلاج الميكروبات المعدية الخطيرة، لأنها أبلغ ضرراً، وأشد خطراً، وأسوأ عاقبة، وأسرع عدوى.

ومع وجوب صون العقيدة من أخطار الإلحاد ومؤامرات الملحدين، يجب أن تصان من تلاعب الخرافيين، وتنقى من كل اللوثات التي يلصقونها بها، لا سيما أولئك الذين يتاجرون بالدين، ويزعمون أن الله جعلهم وكلاء له يرفعون من شاؤا ويخفضونه، ويعطون من شاؤا ويحرمونه، ويعافون من شاؤا ويمرضونه، ويصيبون من شاؤا ويسلمونه، كأنما الله تخلى عن خلقه ووكلمهم إليهم، فهم يتصرفون في الوجود كما يملئ عليهم هواهم، وينازعونه تعالى في خصوصيات ألوهيته وربوبيته، فيدعون لأنفسهم ما لم يجعله الله تعالى لملك مقرب ولا نبي مرسل، من الاطلاع على الغيب، والتصرف في الملك والملكوت، ويعيثون في عباد الله تعالى فساداً، بما يبذرونه بينهم من الفتن، ويغرسون فيهم من الشكوك، فيفرقون بين الوالد وولده، وبين الزوج وزوجه، والحميم وحميمه، حتى وصل الأمر ببعض مريديهم إلى سفك دماء أخص خاصتهم وأقرب قرابتهم، بسبب ثقتهم بأولئك وشكهم فيما أنزل الله من



الحق، فإن هؤلاء لا يقلون ضرراً ولا خطراً عن إخوانهم الملحدين، الذين نزلوا معهم في خندق واحد، متآمرين على الدين وعلى عباد الله تعالى.

ثانيها: العناية بالأخلاق والفضائل وتنشئة الأجيال عليها، حتى ينشأ عليها الصغير منذ طفولته المبكرة، ويلتزمها الكبير إلى أن يلقي الله، فيتربى الكل على العفة والحياء والطهارة، والتقزز من كل رذيلة وفحشاء، لا فرق في ذلك بين الذكور والإناث.

ثالثها: إقامة العلاقات الاجتماعية على أساس تعاليم الإسلام فيما بين الناس جميعاً، سواء ما يتعلق بين الأزواج، أو بين الأولاد ووالديهم، أو بين ذوي القربى، أو بين الجيران، أو بين المسلمين جميعاً.

رابعها: المحافظة على إقامة الشعائر الدينية كم أمر الله تعالى، بحيث يتربى على ذلك الأطفال وينشؤون عليه، ويستمررون محافظين عليه في جميع مراحل أعمارهم، إلى أن يشيخ من شاخ منهم، بل إلى أن يلقوا الله، وأن يستلهموا من كل شعيرة منها ما يبصرهم بالحق، ويعينهم على الخير، ويكفيهم مضلات الأهواء وشور الفتن.

خامسها: الحرص على التفقه في الدين، لأجل أن تكون عبادتهم لله على بصيرة، وأن ينشئوا على ذلك أعقابهم، لتمتد



حلقات الخير في سلسلة الأجيال، لتكون ذرية بعضها من بعض، تضطلع بأمانة الله، وتقوم بحسن الدعوة إليه.

سادسها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقبض على يد كل مفسد، وردع كل متهور، فإن ذلك سبب استمرار السلام، وبقاء الوثام، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ * وَأَعَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٤]، وكما أن ذلك هو سبب الوثام والسلام بين الأمة التي تتمسك بذلك هو أيضا سبب انتصارها على من ناوأها وعادها، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

سابعها: قطع دابر الفساد المالي بالقبض على أيدي المتلاعبين بالمال العام، الذين لا يعينهم إلا الإثراء على حساب الأمة، ولا يبالون بمعاناة المحرومين، وتضور الجائعين، وأنين المنكوبين.



ثامنها: تنظيف المعاملات المالية من الربا والغش والغرر وجميع أصناف المحرمات، فإن في ذلك السلامة من سخط الله تعالى، الذي حرم أخذ المال إلا بوجهه المباح شرعاً، وشدد الوعيد في أكل مال الغير وقرنه بوعيد قتل الأنفس فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْكَرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩ - ٣٠]، وجعل الربا حرباً بينه وبين كل من تعاطاه وتلبس به في المعاملات، فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]، وأمر بإنظار المعسر ورغب في الصدقات فقال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وبين أن الربا ممحقة للمال وأن الصدقة وسيلة لتنميته ونزول البركة فيه عندما قال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلِ الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقد يستخف الذين حرموا نعمة الإيمان والعقل - بما تراكم عليهم من ظلمات الإلحاد والفساد - من هذه التوصية كما استخفوا بها من قبل، لأنهم لم يذوقوا للإيمان طعمًا، ولم يعرفوا للدين قدرًا، فكانوا أوغل في فساد الدين والعقل ممن نشأ



وتربى وعاش في أجواء لم تتعطر بنفحات الإيمان، ولم تتنور بهداية الإسلام، فكم من أولئك من أدرك فضيلة الإسلام وتميز نظامه المالي بالعدل، ودفع الضرر، ناهيك أن المؤسسات المالية الأمريكية لجأت في هذه الأزمة الخانقة إلى الاستفادة من النظام المالي الإسلامي وتطبيقه، فقد توالى التقارير التي نشرتها وكالة الأنباء الأمريكية منذ بداية الأزمة ناصة على ذلك، ومن العناوين التي تصدرت بعض هذه التقارير ما يلي: (الاحتياطي الفيدرالي يخفض أسعار الفائدة إلى الصفر) وقد كان نشر ذلك يوم الإثنين ٢٠٢٠/٣/١٦م^(١)، على أن هذا القرار لم يبتكر في هذه الأزمة فحسب بل سبق اتخاذه في الأزمة المالية السابقة، كما ذكر ذلك الأستاذ الدكتور الشيخ علي محيي الدين القره داغي، في كتابه المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي - دراسة تأصيلية مقارنة بالاقتصاد الوضعي على ضوء الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة وتراثنا الفقهي، وهذا نص قوله: «إن الفوائد الربوية التي تعتبر من أهم أسس وخصائص النظام الرأسمالي أصبحت الآن تتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية باعتراف جميع الاقتصاديين المنصفين، ولذلك نزلت أمريكا نسبة الفوائد إلى الصفر تقريباً (٠,٢٥٪)، بل إن الرئيس الأمريكي المنتخب وفريق عمله يستعيدون نظرية كنز

(١) ينظر؛ مقال (الاحتياطي الفيدرالي يخفض أسعار الفائدة إلى الصفر) المنشور بتاريخ ٢٠٢٠/٣/١٦م في CNN بالعربية:

<https://arabic.cnn.com/business/article/2020/03/16/federal-reserve>



إلى الواقع والتطبيق في أن النقد لا يلد نقدًا، وأن الفائدة يجب أن تكون صفرًا، وبذلك تحقق التنازل عن هذا الأساس الذي يقوم عليه النظام الرأسمالي في التوزيع، حيث يقر بأن الفائدة هي من نصيب رأس المال النقدي عندما يعطى لشخص آخر» اهـ^(١).

فليعتبر أولئك الذين استهواهم خلاف الإسلام، وأولعوا بنقض أسس الدين، وهد بنيانه!

تاسعها: التعاون على الخير، وبذل المعروف للمحتاج، وحمل الكلّ عن الضعيف، وتصافي القلوب، وترابط النفوس برباط المودة في الله، كما قال النبي ﷺ: «تَرى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»^(٢)، فبتطبيق هذه

(١) القره داغي؛ علي محيي الدين: المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي - دراسة تأصيلية مقارنة بالاقتصاد الوضعي على ضوء الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة وتراثنا الفقهي (حقيبة طالب العلم الاقتصادية)، الكتاب الثاني، ٩١/١، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط ١: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(٢) أخرجه عن النعمان بن بشير الطيالسي؛ مسند الطيالسي، (باب) النعمان بن بشير، (رقم: ٧٩٠، ص ١٠٧)، وأحمد؛ مسند أحمد، (رقم: ١٨٣٩٨، ٢٧٠/٤)، والبخاري؛ صحيح البخاري، كتاب (٧٨) الأدب، باب (٢٧) رحمة الناس والبهائم، (رقم: ٦٠١١، ص ٥٠٩)، ومسلم؛ صحيح مسلم، كتاب (٤٥) البرّ والصّلة والآداب، باب (١٧) تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (رقم: ٢٥٨٦، ص ١١٣٠).



المبادئ والاستمسك بهذه القيم تحيا النفوس بعد مواتها، وتعمر القلوب بعد خرابها، وتدفع الشرور ويمتد الخير، وتستأصل جرثومة الفتن.

عاشرها: التعاون التام بين جميع المؤسسات الرسمية والهيئات الأهلية على ما فيه خير الأمة، ودوام الرشد، وقطع دابر الغي، والفساد.

الحادي عشر: حرص الأمة على الابتكار فيما تحتاج إليه، لا سيما أنواع العلاج للأمراض والأوباء ما عهد منها وما يجد، حتى لا تكون عالة على غيرها، تستجدي ما يلقي إليها من فتات الموائد، وبهذا تكون الأمة عزيزة الجانب.

الثاني عشر: الحرص على نظافة البيئة بالتحكم في إفرازات المصانع ووسائل النقل بالقضاء عليها أو ابتكار استخدامها في سبيل التنمية، كما تقترحه عقول الخبراء، وحسبنا أسوة في ذلك تلك الدولة الصغير حجمها العظيمة هممتها (سنغافورة) التي استطاعت أن تستغل هذه الإفرازات في المصالح وتتجنب مضارها، وهذا أمر نطالب به جميع دول العالم.

الثالث عشر: السباق بين محبي الخير الذين بسط الله لهم من رزقه، وآتاهم من فضله، في ميادين الخير، ومجالات الإحسان، وفي مقدمة ذلك دعم صندوق الوقف الصحي، وتوفير رأس ماله.



الرابع عشر: حسن عرض الإسلام على الأمم، وبيان فضائله وفواضله، ومزاياه الفكرية والسلوكية والاجتماعية، وتميز نظامه المالي بالطهر والعفاف، ومراعاة المصالح العامة، وتربية النفوس على الفضائل.

الخامس عشر: الاعتراف بالفضل لأهله وحسن مراعاة ذوي الإحسان، والحرص على مكافأتهم على إحسانهم وبرهم ماديًا ومعنويًا، وإزجاء وافر الشكر لهم، وخالص الثناء عليهم، تطبيقًا لحديث رسول الله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»^(١).

ومن هذا المنطلق فإنني أزجي خالص الشكر وعظيم التقدير لكل من قام بخدمة للناس في هذه المحنة، وبذل جهده أو ماله من أجل التخفيف من وقعها، ودفع ما يمكن دفعه منها، سواء الهيئات الرسمية أو الجهات الأهلية أو الأفراد، وأدعو الله أن يجزيهم الخير وأن يوفقهم لما فيه مصلحة العباد والبلاد وأن يرفع

(١) من طريق أبي سعيد: أخرجه أحمد؛ مسند أحمد، (رقم: ١١٢٩٨، ٣٢/٣)، والترمذي؛ سنن الترمذي، (٢٥) أبواب البر والصلة، باب (٣٥) ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (رقم: ١٩٥٥، ص ١٨٤٨) وقال: «حسن صحيح»، وأبو يعلى؛ مسند أبي يعلى، (رقم: ١١٢٢، ٣٦٥/٢)، والطبراني؛ المعجم الأوسط، (رقم: ٣٥٨٢، ٥١/٤)، ومن طريق أبي هريرة أخرجه الترمذي؛ سنن الترمذي، (٢٥) أبواب البر والصلة، باب (٣٥) ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (رقم: ١٩٥٤، ص ١٨٤٨) وقال: «حسن صحيح»، ومن طريق جرير أخرجه الطبراني؛ المعجم الكبير، (رقم: ٢٥٠١، ٣٥٦/٢)، قال الهيثمي (١٨١/٨): «رجاله رجال الصحيح».



أقدارهم ويخلصهم من جميع المحن، وأخص من بين هؤلاء من كان في واجهة هذا الأمر فلم يألُ جهدًا ولم يدخر وسعًا في خدمة الناس، كأفراد الطواقم الصحية الذين واصلوا ليلهم بنهارهم، وتواصل مع ذلك كلالهم بكلالهم، من أجل إراحة المصابين ببذل ما أمكنهم من الحيل في علاجهم، وكذلك رجال الشرطة الذين كانوا يسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم من أجل تنظيم أحوال الناس لئلا يستشري الوباء، وجميع الذين اشتغلوا بهذا الأمر من عرفنا منهم ومن لم نعرف، والله تعالى أحصاهم جميعًا عددًا، ولا يظلم أجر من أحسن عملًا.

وكذلك الذين وسعوا الناس ببرهم وإحسانهم، وبسطوا لهم من معروفهم في هذه الأزمة الخائقة، ولست بناسٍ ما تقوم به جهات الإرشاد من أجل توعية الناس ليتقوا المضار.

وأخيرًا فإني أدعو الناس جميعًا أن يلتزموا النظام وأن يتركوا الفوضى، وأن يحرصوا على سلامة أنفسهم وسلامة أسرهم ومجتمعاتهم وسلامة الناس جميعًا من هذا الخطر الداهم، وألا يستأسروا للعاطفة فيكسروا الحواجز، ويخرجوا عن النظام، بل عليهم جميعًا أن يتعاونوا على سلامة الكل من الأخطار، فإن يد الله مع الجماعة، وبتعاونهم هذا سوف يتحقق لهم من الخير ما لم يكن في الحساب، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



نسأله تعالى أن يرفع عنا وعن عباده جميعاً كل بلاء، وأن يصرف عنا وعنهم كل ضراء، وأن يكشف عنا وعنهم كل كرب، ويكفيننا وإياهم كل بلية ورزية، وأن يعيد إلينا جميعاً الصحة والأمن، والسلامة والاستقرار، وأن يعيدنا إلى بيوته منيبين خاشعين مخبتين، نواصل الليل بالنهار في عبادته وذكره وشكره، وأن يعيدنا إلى أعمالنا سالمين غانمين، فهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وهنيئاً لكم جميعاً اختتام شهر رمضان المبارك، وإقبال عيده السعيد، وأيامه المباركات، والله يتقبل منا ومنكم ويغفر لنا جميعاً كل تقصير وكل إساءة.

أعاد الله هذه المناسبة العظيمة على الجميع بالخير واليمن والبركة والبر والتقوى والإحسان، والصحة والعافية، والسلامة الدائمة، وكل عام والجميع بخير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد بن محمد الخليلي

٢٧ رمضان المبارك ١٤٤١هـ